خطوات لممارسة الإصلاح

إعداد:
أسامة شحادة

الموقع الشخصي: Osamashahade.com

خطوات لممارسة الإصلاح

أسامة شحادة

الإصلاح مسؤولية مجتمعية عامة، كلٌّ بحسب موقعه ودوره، قال عز وجل: "وما كان ربك لِيهلك القرى بظلمٍ وأهلها مصلحون" (هود: 117).

أولاً: المعلمون والمعلمات

(1)

قطاع المعلمين والمعلمات من أهم القطاعات التي يجب عليها أن تنخرط في عملية الإصلاح بكل قوة لأنهم يتعاملون مع الثروة الحقيقية لأمتنا وهم أطفالنا ونشؤنا، والذين على أكتافهم نعلق الآمال بأن ينهضوا بأمتهم خطوات واسعة للأمام، بما زرعه فيهم معلموهم ومعلماتهم من قيَم ومعارف واتجاهات ومهارات.

نعم، قد لا تكون العملية التعليمية والتربوية تسير بالشكل المطلوب واللازم للنهضة والتقدم، ولكن هذا لا يعفي كل معلم ومعلمة من القيام بمسؤوليتهم في الإصلاح وحسن رعاية الأطفال الذين وضعوا كأمانة بين أيديهم.

والإصلاح المطلوب من المعلمين والمعلمات القيام به ليس بذاك الأمر الصعب أو المستحيل، بل هو يسيرٌ وسهلٌ لمن أخلص نيته للقيام به، ولعله يكون من أهم أسباب سعادته في الدنيا وحصول البركة في أموره كلها وباب نجاته ورقيّه في درجات

الجنان في الآخرة، وإن الشعور بالإنجاز والخدمة والإصلاح لهو بذاته مما يشرح الصدر ويحوّل مرارة الواقع للَذة حقيقية تسكن قلق القلب وتبرد على النفس ما تعانيه وتطلق الأمل في الجيل القادم أو بالدار الآخرة.

الإصلاح المطلوب من المعلمين والمعلمات تجاه تعليم وتربية الطلاب –على مختلف مستوياتهم– متنوع ومتعدد، وسنستعرض ثلاثة مسارات منها، لكنه يقوم أولاً على زرع وترسيخ قيمة العلم والتعلم في قلوبهم وعقولهم، وأنه سبيل السعادة في الدنيا والآخرة، وأن العلم هو سلاحنا في مواجهة تحديات الحياة وكلّما تعلمنا أكثر وبطريقة صحيحة كنا أقوى وأسعد وعلى نهج الحق.

وبعد ترسيخ محبة العلم والتعلم، ننتقل لزرع محبة المطالعة والقراءة ومن ثم طريقة البحث السليمة وقواعد التفكير الصحيحة وحل المشكلات، وبذلك يتكون عندنا جيل قوي متمكن علمياً ومعرفياً ويُحسن التعامل مع التحديات والمستجدات، ويمكنه المساهمة في إثراء الحالة العلمية وتعميمها أينما حلّ وارتحل.

إن ترسيخ قيمة العلم والتعلم في نفوس الطلبة وإكسابهم مهارات المطالعة والبحث والتفكير يرفع مستوى تحصيلهم، ويحاصر أمية الفكر والمعرفة، ويحسّن من سلوكهم وييسر العملية التعليمية على المعلمين والمعلمات.

وحتى يتحقق هذا الإصلاح نحتاج إلى أن يهتم المعلمون والمعلمات بتطوير معارفهم ومهاراتهم بالمطالعة والبحث المستمر عن قيمة العلم والتعلم وآثارهما المتجددة على ارتقاء الحياة ورسوخ الإيمان وحسن الخلق، ومن ثم يتنافس المعلمون والمعلمات في الإبداع والتنوع في طرق زرع وترسيخ قيمة العلم والتعلم في أذهان طلابنا على مختلف مستوياتهم، وهذا من ميادين التنافس الممدوحة والمشرّفة التي يجب أن توليها المؤسسات التعليمية اهتماما ورعاية، ومكافأة المبدعين فيها.

(2)

بعد أن ركّزنا على ضرورة زرع حب العلم والتعلم في نفوس طلابنا وتعويدهم على المطالعة وإكسابهم مهارات القراءة الصحيحة والتفكير وحلّ المشكلات، لأن هذا هو جوهر عملية التعليم بأن

يصبح لدى ناشئتنا دافعية ذاتية نحو التعلم واكتساب المعرفة، وهذا ما زرعه النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه فتعلموا وعلّموا ورسّخوا حب التعلم في الشعوب والمجتمعات التي فتحوها، وسرعان ما ظهر من بينهم الأئمة الأعلام كالبخاري ومسلم وسيبويه وغيرهم.

والآن نركز على المسار الثاني في الإصلاح المطلوب من المعلمين والمعلمات وهو إتقان العملية التعليمية من خلال إتقان فهم ومعرفة المادة التعليمية المطلوب تدريسها، ومن ثم حسن القيام بعملية التعليم والإبداع فيها.

فلا أحد ينكر وجود مشكلة عند قطاع غير بسيط من المعلمين والمعلمات يتمثل في عدم إتقانهم للمادة التعليمية المطلوبة منهم لأسباب شتى منها: عدم توافق مناهج التعليم المدرسية مع مقررات التعليم الجامعي للمعلمين والمعلمات! ومنها: عدم توافق التخصص الجامعي للمعلم والمعلمة مع المادة المطلوب منه/ منها تدريسها، فبعض المعلمين والمعلمات يكون قد تخصص في الهندسة أو الصيدلة ثم يطلب منه تعليم الرياضيات أو العلوم أو الجغرافيا! ومنها: قلة المعلمين والمعلمات الذين تحصلوا على

مساقات تربوية وطرائق تدريس في دراستهم الجامعية أو مروّا في عملية تأهيل للتعليم سواء على مستوى التعليم الرسمي العام أو التعليم الخاص والأهلي. من هنا فإن الواجب على جمهور المعلمين والمعلمات المخلصين والراغبين بأن يكونوا جزءاً من عملية الإصلاح في المجتمع من القيام بتطوير معارفهم وعلومهم بخصوص المادة التعليمية الموكلة لهم، وذلك عبر مراجعة بعض المقررات الجامعية الخاصة بها أو المطالعة العامة حولها لإثراء معرفتهم، أو بالسؤال والاستفادة من الزملاء، أو حتى عبر الاستفادة من الكتب المساعدة للطلبة من بعض مميزي المعلمين، هذا بخصوص المادة التعليمية. أما بخصوص حسن التعليم والإبداع في ذلك فهناك الكثير من الكتب النافعة في هذا الباب، والتي تقدم خبرات وحلولا

وطرقا وخطوات واضحة، منها: كتاب كيف تكون معلما متميزا وملقيا مؤثرا؟ للدكتور محمد ديماس، وكتاب علم بثقة 49 أسلوبا تضع الطالب على طريق النجاح لدوغ ليموف.

فكلما تحسنت العملية التعليمية زادت نسبة الطلبة المتفوقين والناجحين، وقلّت نسبة الطلبة المهملين والمتسربين من التعليم،

وتحسنت مدخلات التعليم الجامعي وتحسنت مخرجاته، وانعكس ذلك على مجمل حالة مجتمعاتنا.

ويفترض بهذا الترقي بالحالة التعليمية من خلال ممارسة المعلمين والمعلمات لواجبهم في الإصلاح تحسن مستوى قراءة وكتابة الطلبة للغة العربية وهي أساس هويتهم ودينهم، وتحسن قدرتهم في الرياضيات والعلوم مما يفتح لهم أبواب العلوم والمهن وحسن التعامل مع العالم من حولهم.

إن تكاتف نقابات واتحادات المعلمين وحتى مؤسسات المجتمع المدني بتعزيز الدافعية الذاتية والوطنية والدينية عند المعلمين والمعلمات للقيام بواجبهم ورسالتهم السامية ودورهم الإصلاحي لهو في غاية الأهمية برغم ما يعانونه من تقصير وظلم أو عجز وقلة حيلة من قبل الجهات الرسمية، وليكن رضا الله وتقديره الجزيل غايتهم إن فاتهم تمام حقهم من التقدير والتكريم من البشر.

(3)

بعد أن تحدثنا عن إصلاح المعلمين والمعلمات من خلال خطوتي غرس محبة العلم والتعلم في الجيل الصاعد، وإتقان تدريسهم

وتعليمهم للطلبة بالتمكن من المادة العلمية والإبداع في طرق التدريس والتعليم، نأتي للخطوة الثالثة والتي ننهي بها الحديث عن إصلاح المعلمين والمعلمات وهي العناية بالتربية الإيمانية والأخلاقية لهذا الجيل الصاعد الذي يواجه معركة الشهوات والشبهات العالمية قبل أن يكتمل وعيه وإدراكه لها عبر ثورتي الإعلام والاتصال، حيث يقضي الطلبة آلاف الساعات تحت قصف الشاشات و"الشاتات" التي تخاطب غرائزهم وعقلهم اللاواعي!

وهذا يضاعف من مسؤولية المعلمين والمعلمات بالعناية بتربية الجيل وغرس القيم الإيمانية والأخلاقية في روحه بحكمة وذكاء ورحمة، وكما يحمل الكثير من المعلمين والمعلمات من ذكريات طيبة لمعلمين

ومعلمات تركوا بصمات على أرواحهم وقلوبهم بحيث لا تمل ألسنتهم من الدعاء لهم بالخير والثناء عليهم بالغيب، فلتكن لكم معاشر المعلمين والمعلمات مثل تلك البصمات التربوية والإيمانية والأخلاقية على قلوب هذا الجيل الأكثر معرفة وجرأة وثقة.

وبسبب هذه الصفات للجيل الجديد يلزم تطوير معارفنا وتجديد وسائلنا التربوية وسد الفجوة بين تجربتنا وثقافتنا وبين واقع هذا الجيل الذي تتبدل وتتغير مفاهيمه وسلوكياته بسرعة رهيبة،

وإذا لم نعيها فإن الفجوة بينه وبين المعلمين والمعلمات ستتمدد وتتعاظم حتى تصبح حاجزاً سميكاً يحُول بين الطلبة ومعلميهم، ويجعل منهم جزراً معزولة عن التربية المطلوبة، وأسرى للغزو الفكري والثقافي عبر وسائل التواصل الاجتماعي الذي نشاهد بعضه عبر السلوكيات الغريبة والجرائم البشعة لبعض الطلبة هنا أو هناك.

فكم يحتاج المعلمون والمعلمات لإثراء ثقافتهم حول خصائص المرحلة العمرية التي يعلّمونها عبر مطالعة كتاب جديد كل سنة حول الموضوع حتى يحسنوا التعامل مع الطلبة وتصرفاتهم السليمة والسلبية وتحويل وعلاج السلبي منها بعلم ورحمة وحكمة وذكاء.

ويحتاج المعلمون والمعلمات إلى مطالعة ولو كتاب سنويا حول التربية والتعامل مع الطلبة لتأصيل معارفهم وأساليبهم مع الطلبة

ومع أبنائهم، ولعلّ في كتب د. عبد الكريم بكار مجموعة متميزة في ذلك منها: تأسيس عقلية الطفل، طفل يقرأ، القواعد العشر في تربية الأبناء، مشكلات الأطفال، حول التربية والتعليم، بناء الأجيال، وغيرها.

كما أن مطالعة بعض الكتب المتخصصة في زراعة القيم في نفوس الطلبة ومهارات إقناعهم والتأثير فيهم مفيد جداً لكل معلم ومعلمة، ومن هذه الكتب: مهارات التأثير والإقناع عند المعلمين لبدر الحسين، وفي شبكة الإنترنت عدد من الدورات والأبحاث الخاصة بذلك.

إن المعلم الذكي والمعلمة الذكية في الحقيقة يسعيان لأن يضاعفا فائدتهما الشخصية من التعليم فيقوما بوظيفتيهما بإتقان ويأخذا أجريهما على ذلك ويحوزا على السمعة الطيبة في الدنيا، ولكنهما أيضاً يساهمان في إصلاح الأمة والارتقاء بها عبر تعظيم ثروتها الحقيقية وتمتين صفها الداخلي وبناء أبنائها ليكونوا قادة نهضتها القادمة كما كان الشافعي والعز بن عبد السلام ونور الدين زنكي وصلاح الدين، فيكونا شريكين لهم في الأجر عند الله عز وجل

وتزداد حسناتهما بالدعاء لهما في غيابهما ولا ينقطع أجرهما الأخروي بما علّماه بِنيّة صالحة وخالصة لله عز وجل.

ثانياً: الأئمة والخطباء والوعاظ والواعظات

(1)

في هذه المرحلة التي شهدنا فيها هجمة على الكثير من المنابر الفضائية الإسلامية السليمة بالإغلاق أو منع بعض العلماء والدعاة من الظهور على شاشاتها، والتي كانت بمثابة فتح إسلامي عبر البث الفضائي لبعض الدول التي استبد بها الطغاة وجففوا فيها منابع التدين والدعوة الربانية، ولم يكتفوا بذلك

بل قاموا بنصب كثير من العمائم و"الكرفتات" المزورة لتشوه الإسلام وتحرف أحكامه، ومن قبل ذلك انتهاء سوق الشريط والقرص الإسلامي الذي كان روح الحياة والعلم لملايين المسلمين والمسلمات، في هذه المرحلة تتعاظم مسؤولية الأئمة والخطباء والوعاظ والواعظات في نشر دعوة الحق والإيمان السليم في وجه أصحاب التحريف العلماني والتحريف البدعي والتحريف الإرهابي لمحكمات الدين والإسلام.

ولعل مِن أول خطوات الإصلاح المطلوبة من الأئمة والخطباء والوعاظ والواعظات أن يأخذوا مهمتهم ومسؤوليتهم على وجهٍ صحيح واهتمام بالغ "يا يحيى خُذ الكتاب بقوة"، وذلك بإخلاص النية وتجديدها دوماً، والاستزادة من العلم والمعرفة باستمرار، وتلمّس حاجة الناس ومتابعة التغيرات فيما تتعرض له مجتمعاتنا من موجات ضخمة من الشبهات والشهوات، فيتحصّنون هم أنفسهم من شرورها ومن ثم يحصّنون الجمهور من خبثها وشرورها.

ولما كنا في زمنٍ تقاربت فيه المسافات وزادت فيه المنافسات على كسب قلوب وعقول الجمهور فإن من الواجب على المخلصين والصادقين على هداية الناس وتوجيه المسلمين ونشر الخير والمحبة من الحرص على صقل مهاراتهم في الخطابة والوعظ والتعليم، وقد أصبح ذلك متيسراً مع توفر الكتب والدورات التدريبية المتخصصة بهذا، سواء مجاناً أو بمقابل، كما أن العديد من الدعاة المؤثرين قد كتبوا تجربتهم ونصائحهم في مجال الدعوة، ولعل من أشهر تلك التجارب كتاب د. محمد العريفي "تجربتي في ربع قرن"، فلماذا تبدأ من الصفر وأنت يمكنك أن تستفيد من تجربتهم وتتجنب

الأخطاء فتكون كما قيل: "مَن يقرأ تجارب الآخرين كقزم يجلس على كتف عملاق، لكنه يرى أبعد مما يرى العملاق"!

ومن أهم المهارات التي يلزم الإمام والخطيب والواعظ والواعظة اكتسابها: القدرة على تحفيز الجمهور على تطبيق ما تعلّمه من علم وتوجيه وخلق في خاصة نفسه أولا، ثم إبلاغ من خلفه من الأهل والأصدقاء والزملاء بما سمع وتعلّم، وبذلك تتكامل عملية الإصلاح في المجتمع وتتوسع دائرة هداية ورحمة الدعوة الربانية "ومَن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله وعمل صالحاً".وأقصر طريق لتحفيز المسلمين إصلاح الباطن والحرص على هداية الخلق ورحمتهم ومحبة الخير لهم وموافقة القول للعمل والتدرج في إصلاحهم

والصبر على عقبات الطريق، "والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر".

(2)

إن مسؤولية الأئمة والخطباء والوعاظ والواعظات مسؤولية عظيمة في الدعوة إلى الله عز وجل ونشر الخير والهداية وتحصين الأمة، خاصة في هذه المرحلة الصعبة، ولأن مهمتهم جزء من وراثة النبوة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

ولذلك من الخطوات الأساسية في الإصلاح والمُناطة بالأئمة والخطباء والوعاظ والواعظات تعليم الناس وإرشادهم وترسيخ أصول الدين وأركان الإيمان والإسلام في أفئدة المسلمين والمسلمات في خطبهم ودروسهم ومواعظهم ودوراتهم ومحاضراتهم.

وهنا مجال التنافس في الخير في الإبداع في الوسائل والأساليب من تعليم وحوار ومسابقات ودورات ودروس وخطب تراعي كافة الشرائح العمرية والثقافية وتتكيف مع المواسم والمناسبات ولا تغفل عن ضرورة التكرار كل مدة لهذه الأصول لتبدل الجمهور مع الزمن أو لتغير موقع الإمام والخطيب والواعظ والواعظة.

ولعل من أهم المواسم التي تخص هذه الشريحة موسم رمضان، الذي لم يبق عليه إلا أيام، ورمضان موسم من أعظم مواسم الإصلاح لمن استعد فخطط ورتّب وفكّر وحضّر من الأئمة والخطباء والوعاظ والواعظات، ففي رمضان –خاصة في بدايته– تقبل جموع المسلمين والمسلمات من الرجال والنساء والفتيان والفتيات على صلاة العشاء والتراويح وصلاة الفجر، فماذا أعددتم لهم؟

متى ستعلّمون جمهوركم من المصلّين أحكام وفقه وحِكم وأسرار الصيام؟ وكيف سترفعون مستوى استعدادهم لقدوم رمضان واستثماره على خير وجه من خلال دروسكم وخطبكم أو مواعظكم في شهر شعبان؟

ما هي خطتك أيها الإمام (أو الخطيب أو الواعظ والواعظة) في رمضان؟ ما هي الأصول التي ستركّز عليها؟ ما هي التوجيهات التي سترسّخها في هذا الجمهور المؤقت؟ ما هي القناعات الإيمانية والأخلاقية التي ستغرسها في قلوب وعقول الفتيان والفتيات؟ ما هو الهدف (التارجت) الذي تستهدف أن تكسبه من

هذا الجمهور من الرجال والفتيان ليتحول من مصلٍّ رمضاني مؤقت ليصبح مصليًّا دائما معك؟

أو فتى تربطه بالمسجد بدلاً من أن تبتلعه الشوارع؟ أو فتاة تحسن الحجاب والعفاف بدلا من حجاب الموضة أو اتّباع الهوى؟

رمضان موسم لكسب الطاعات ولكن أكبر مكسب لك أيها الداعي هو أن تكسب مصانع حسنات دائمة لرصيدك من خلال كسبك لقلوب وعقول المسلمين والمسلمات لسبيل الخير والهدى "لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حُمر النّعم" متفق عليه.

هذا المكسب يحتاج منك إلى إعداد واستعداد وتحضير من الآن لكلمات وخطب رمضان ومراجعة حفظك للقرآن وإبداع في تحفيز جماعة المسجد من الكبار والصغار ليعينوك في مهمّتك الجليلة عبر وسائل مبتكرة وأفكار جذابة تناسب جمهور رمضان من الرجال والنساء والفتيان والفتيات، "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون".

(3)

من أهم واجبات الإمام والخطيب والواعظ والواعظة في زماننا أن يمارسوا دور البشير والنذير بعلمٍ وفهمٍ ووعيٍ وإتقانٍ لسببين:

1- أننا في زمن تتزاحم فيه أمام الناس الأفكار والتصورات من شتى الاتجاهات عموما، وحتى في داخل الصف الإسلامي حتى أصبحنا نرى عمائم على شيوعي (كميزو) أو متنصّر (كمصطفى راشد) فضلا عن الترويج الغربي والعلماني للمساجد والصلوات المختلطة صفوفها بين الرجال والنساء وتؤمها النساء ولا ترتدي فيها (المصليات) الحجاب!!

2- تميز كثير من دعاة الضلال بحسن الخطاب والبيان وروعة الإخراج الإعلامي وغرابة الموضوعات والمضمون المطروح، مما يخدع الكثير من الناس ويورّطهم في سبل الضلال.

من هنا؛ فإن على أهل العلم والتخصص من الأئمة والخطباء والوعاظ والواعظات التصدي بعلم وحكمة لسيل الشبهات البراقة الرائجة والشهوات الخلابة العصرية من خلال إنتاج خطاب شرعي علمي دعوي يرسخ الأصول الشرعية الأساسية مع مزجها

بشروحات وتوضيحات عصرية تجيب على تساؤلات العصر وتحصن القلوب والعقول مما تقصف به صبح مساء عبر القنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي.

فمثلاً يتم مزج تقرير وجوب التسليم للوحي الرباني المتمثل بالقرآن والسنة وأنه لبّ الإسلام والإيمان مع بيان مركزية الوحي في نظرية المعرفة الإسلامية مقابل مركزية المادة والإنسان في الفكر المادي

المعاصر وتطبيقات ذلك في واقعنا مما يجنب الوعي بهذا الكثير من شبابنا من الوقوع في فخاخ الإلحاد والعلمنة.

كما أن تضمين شرح توحيد الربوبية أدلة وبراهين وجود الله عز وجل والرد على أصل شبهات الجاحدين أسهل بكثير من التصدي لموجة الإلحاد التي تنتشر بين الشباب الفارغ والأمّي دينياً بسبب خلل منظومة التعليم والإعلام والتضييق على منابر الدعوة الإسلامية.

إنتاج خطاب شرعي علمي دعوي يعالج شبهات وشهوات العصر والواقع هذا هو واجب أهل العلم والمتخصصين منهم في خطبهم ومحاضراتهم ومواعظهم ونقل ذلك عنهم ونشره بين عموم

المسلمين والمسلمات هو واجب بقية الأئمة والخطباء والوعاظ والواعظات في مساجدهم وملتقياتهم.

إذ لا يشترط في كل العاملين في الدعوة أن يكونوا من العلماء المتخصصين ومن ذوى القدرة العلمية على الابتكار والتجديد،

لكن يشترط في العاملين في حقل الدعوة الوعي بحاجات المسلمين الحالية والعمل على توعيتهم وتعليمهم وتحصينهم وتربيتهم على العلم النافع لهم والأسس السليمة التي تمنع عنهم الانخداع بسبل الضلال الكثيرة والبراقة.

نحن في عصر ومرحلة لا بد من الجمع فيها بين خطاب القلوب والأفئدة بالإيمان والعاطفة وخطاب العقل بالدليل والبرهان، والعمل على تنمية قدرة المسلمين على وزن كل الأفكار والدعايات والشبهات بميزان الدين ومدى موافقتها للقرآن والسنة.

بهذا التعاون بين العلماء وطلبة العلم والدعاة والأئمة والخطباء والوعاظ والواعظات تتكامل العملية الدعوية الإصلاحية ونحصّن مجتمعاتنا من طوفان الضلال الذي نتعرض له بكثافة في الأعوام الأخيرة.

ثالثاً: الأزواج والزوجات والآباء والأمهات

(1)

الأسرة هي لبنة المجتمع الأساسية التي تتجمع وتتكون منها العشيرة ثم القبيلة ومن ثم الشعب ومن ثم الأمة، قال تعالى: "وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (الحجرات: 13).

ونحن في عصر تكاثفت فيه المخططات الخبيثة للقضاء على الأسرة بحجج شتى منها التطور والتقدمية! بحيث تنفلت فيها العلاقات الأسرية بلا ضوابط شرعية وينتشر فيها الأبناء الذين ليس لهم أب معلوم كوزيرة (العدل) الفرنسية ذات الأصول المغربية، والتي لا يُعرف من هو أبو طفلها حيث أنها عاشرت 8 رجال! وتخيل جيلا بمئات الآلاف في الغرب اليوم ليس له أب أو عم أو جد، فضلا عن أخ وأخت وبقية الأقارب، وقد تكون والدته وحيدة أبويها، وانفصلت عنهما مبكرا، فهذا الجيل المقطوع الصلة

أسرياً ما هو مستقبله؟ هذه هي النتيجة الكارثية التي تسعى مواثيق واتفاقيات الأمم المتحدة (اتفاقية سيداو) لفرضها على مجتمعاتنا باسم حماية حقوق المرأة والطفل، والتي قطعت أشواطا كبيرة في التسلل لقوانين الأحوال الشخصية في المجتمعات الإسلامية، والتي من انعكاساتها دعوات منع زواج الصغيرات ومنع تعدد الزواج وتغيير أحكام المواريث وإباحة الزنا والشذوذ.

ولإصلاح حال الأسرة في مجتمعاتنا نحتاج إلى الاعتماد على الذات، فقد تخلت المناهج التعليمية عن دورها المطلوب في ترسيخ مكانة الأسرة السليمة وقيَمها الشرعية الصحيحة، وفقدت غالب الأسر القدرة على توريث الأجيال مفهوم الأسرة الرائدة والمنشودة تحت ضغط تشويش العقول عبر قصفها بالمسلسلات والأفلام العربية والهندية والغربية، ومؤخرا روجت الدراما الهابطة المكسيكية والتركية والكورية حتى!

فعلى الشباب والشابات الساعين لتأسيس أسرهم وإطلاق حياتهم الزوجية لتحقيق السكن والرحمة والهناء أن يجتهدوا في فهم حقيقة مفهوم الأسرة في الإسلام وأدوارها، وتعلّم الأسس السليمة في

الاختيار والتعامل وفهم تباين طبيعة الرجل وطبيعة المرأة بما يحقق التكامل ويحقق لهم السعادة والتوفيق.

وعلى الآباء والأمهات الجادين في تزويج أبنائهم وبناتهم رفع مستواهم الثقافي حول ذلك، والتخلي عن الموروثات التقليدية إذا لم تستند للشرع والعلم وتجنب خلل المفاهيم التي رسختها منظومات الإعلام العلماني وثقافة المجتمع المادية.

ومما يساعد على بناء ثقافة جيدة لتأسيس الأسرة إصدارات د. جاسم المطوع: أحسن خطبة، فهم النفسيات، النجاح الوظيفي والعائلي، فن احتواء المشاكل الزوجية، بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، وغيرها من الإصدارات المفيدة.

وللدكتور عبد الكريم بكار عدة كتب مفيدة لبناء الأسرة السعيدة منها كتاباه: مسار الأسرة، والتواصل الأسري. بناء الأسرة على العلم والفهم خطوة كبيرة في مسار الإصلاح في أمتنا اليوم، والتي تشهد فشل نسبة ثلث حالات الزواج في سنته الأولى بسبب الجهل بمفهوم الأسرة ومسؤوليته والفهم المحرف للأسرة عبر شاشات الإعلام!

(2)

إذا كان عهد بو رقيبة بتونس في آخر القرن الماضي عرف سياسة تجفيف المنابع لمحاربة الإسلام باسم محاربة (الإسلام السياسي) عبر التضييق على المساجد وروّادها من الشباب خصوصاً، ومحاربة الحجاب والخمار وإرغام الفتيات على نزعه، ومنعهنّ من التعليم بسبب ارتدائهن له، وتبديل المناهج التعليمية، وتشجيع الفساد والانحلال، وتناول المخدرات في الجامعات والكليات، مما تسبب بضياع قطاع واسع من الشباب والشابات التونسيات لصالح المنكرات والأفكار المضادة للدين والإسلام.

إذا كان هذا الحال في تونس قبل ربع قرن فإن الأمر اليوم يتكرر في كثير من بلاد الإسلام ولكن بحجة محاربة الإرهاب والتطرف والغلو، فمحاربة الخمار والنقاب بل والحجاب أصبحت ظاهرة بارزة لدى كثير من العلمانيين الإعلاميين والمنظّرين والساسة، وتم محاولة منع المنقبات من التعلم والتعليم في بعض الدول، كما أن المساجد تشهد تضييقاً بالهدم والإزالة أو محاولة توحيد خطبة الجمعة لصالح أجندات خارجية أو موضوعات باردة!

فضلاً عن التضييق على كثير من المناشط الدعوية والتوعوية حيث انحسرت مساحة الفضائيات الإسلامية الهادفة، واختفت تقريباً ظاهرة الشريط والقرص الدعوي والعلمي لصالح مقاطع وعظية قصيرة مفيدة لكن لا تصنع هوية وشخصية راسخة وواعية.

أما التعليم فالعبث فيه على قدم وساق باسم التطوير والتحديث! لدرجة محاولة حذف تعليم التربية الإسلامية أو تحريفها لتصبح تربية إسلامية "دايت" لا تحصّن الجيل الصاعد من الشبهات العصرية، سواء المتطرف منها أو المنحل ولا تحمي النشء من طوفان شهوات الحداثة وما بعدها.

أما الإعلام فلم يقف الأمر عند كسر الأسوار التي كانت تحدّ من انتشار شروره مع ظهور وسائل التواصل الاجتماعي والسماوات المفتوحة والقرية العالمية الواحدة بل وصل الأمر إلى كسر كثير من القواعد التي كانت تتحكم بمعايير ما ينشر في وسائل الإعلام حتى زالت الفوارق بين الإعلام الرسمي والخاص وحتى الإعلام الرخيص والمنحل. ومع هذا الحال السيئ يصبح من الضرورة بمكان تركيز الآباء والأمهات على حسن التربية والتعليم لأولادهم

وربطهم بدينهم وقِيَمهم الإسلامية، وتعويض حالة الفراغ الدعوية والتربوية والتعليمية التي تفرض على مجتمعاتنا وأجيالنا.

ومن أعظم مجالات الإصلاح رعاية الأهل والأبناء، قال تعالى: "وإذ قال لقمان لابنِه وهو يعِظه يا بنيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلمٌ عظيمٌ" (لقمان: 13)، وقال في وصف إسماعيل عليه السلام "وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة" (مريم: 55)، وأمر نبينا عليه الصلاة والسلام فقال تعالى: "وأْمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها" (طه: 132)، وأمر جل وعلا المؤمنين فقال: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة" (التحريم:6).

وللقيام بهذه المهمة؛ على الزوجين والوالدين تعلّم العلم الشرعي الواجب أولاً، وتعلم أصول التربية والتوجيه ومن ثم القيام بتربية وتعليم أبنائهم، ولعل مما يساعد على ذلك سماع أو مطالعة إصدار الشيخ محمد إسماعيل المقدم "محو الأمية التربوية"، كما أن مطالعة كتاب "أبناء الملتزمين" لعبد الرحمن ضاحي مفيد في هذا الباب لفهم خطورة التقصير في إصلاح الأبناء في هذه المرحلة العصيبة، ولتكن البداية بتربيتهم وتعليمهم غايات الصيام وأحكامه ونحن على أبواب رمضان المبارك.

رابعاً: المسؤول والموظف

يشتكي الكثير من الناس من سوء الأوضاع والخدمات والإجراءات في غالب القطاعات، وهذه حقيقة لا شك فيها، ولكن لهذه الحقيقة وجه آخر وهو أن سبب هذا السوء ينقسم بين خلل في النظام الإداري

وضعف في الرقابة والتقويم من جهة، ومن جهة أخرى سوء تصرف وتنفيذ الموظفين والمسؤولين –والذين هم من الناس– لمهماتهم!

فالموظف والمسؤول السيء والمقصر في جهة ما هو نفسه من يشتكي من تقصير وإهمال وفوضى موظف ومسؤول آخر في جهة أخرى!!

ومن هنا فإن الشعور بالمسؤولية والأمانة والمراقبة الربانية لدى الموظف والمسؤول هو خطوة الإصلاح الأولى والتي يعززها

إصلاح النظام الإداري والمراقبة والتقويم، حتى نصل لمرحلة تكامل النظام والأداء.

والمطلوب من المسؤول ليس بالأمر المعجز فهو يقتصر على أن يتخذ القرار الصحيح النابع من دراسة سليمة ويوجه للمرؤوسين بشكل واضح يبين خطوات التنفيذ المطلوبة ومتابعة الإنجاز والأداء في الوقت المحدد.

أما الموظف فالمطلوب منه تنفيذ الخطوات المطلوبة بشكل صحيح في الوقت المحدد، وبذلك تدور عجلة العمل ويتم الإنجاز وتمضي حياة الجميع بسلاسة وهدوء دون تأخير وتعطيل وفوضى وخلافات وتوتر.

حتى تكتمل هذه الرؤية يلزم عمل كبير وضخم ليس في طاقة الأفراد أو الجماعات، ولكن هذا لا يمنع من القيام بالواجب الشرعي والوطني بالإصلاح الجزئي في المواقع التي نتواجد فيها.

والإصلاح الإداري الجزئي الذي يقوم به المسؤول والموظف المخلص والمتقي لربه والمتفاني في خدمة وطنه لعله هو سبب بقاء دولنا وإداراتنا قائمة لليوم برغم كل العيوب والفوضى

الموجودة، ولنا عبرة في قصة يوسف عليه السلام الذي تولى إصلاح نظام الغلال عند عزيز مصر الكافر ليقدم للمجتمع خدمة صحيحة وحماية من المجاعة والفوضى.

وهذا الإصلاح الجزئي له نتيجة وثمرة إيجابية قد لا يشعر بها الناس بوضوح وفوراً كما في قصة ترميم الخضر وموسى عليه السلام للجدار المائل! حيث حفظ مال الأيتام لعدة سنوات قادمة دون علمهم!

فكلنا يعرف مديراً أو موظفاً متفانياً في جهة ما يتقي ربه وينجز مسؤولياته على خير وجه ويدعو له الناس بالخير، فلماذا لا نقتدي به ويكثر أمثاله حتى تتوسع المساحات المضيئة في مؤسساتنا، خاصة أن الكثير منا سيكون موظفاً أو يترقى ليصبح مسؤولاً في مكان ما.

ومما يلزم الحرص عليه في الإصلاح الجزئي للنظام الإداري مع حسن القيام بالمسؤوليات وخدمة المجتمع العمل بجد على تحسين النظام الإداري في مواقعنا حتى نمؤسس الإصلاح ونرسخه ولا يكون مرحلة عابرة لا تستقر.

الواجب الشرعي والوطني على أصحاب المسؤولية العليا القيام بأداء مسؤوليتهم على أفضل وجه، ولكن إذا قصروا في ذلك أو أفسدوا، فإن ذلك لا يعفي المسؤول الأصغر أو الموظف من القيام بواجبه الشرعي والوطني بالإصلاح الجزئي بما يمكنه من حسن تنفيذ مهامه والعمل على إصلاح النظام الإداري في موقعه بفرض بعض التعليمات والأنظمة ضمن صلاحياته ورفع التوصيات والاقتراحات الإصلاحية للجهات المعنية فيما يفوق صلاحياته.

خامساً: التجار

التجارة حثّ عليها الله عز وجل في كتابه فقال تعالى: "فإذا قُضِيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله" (الجمعة: 10)، والمقصود ابتغوا الرزق بالتجارة والعمل، وقد مارس النبي صلى الله عليه

وسلم التجارة بنفسه، وكان كثير من الصحابة يعمل بالتجارة كالصديق وعثمان قبل الخلافة وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم جميعاً. كما أن التجارة كانت سبباً للدعوة لدين الإسلام قديماً، حيث فُتح كثير من الدول، وآمنت العديد من الأمم من خلال التجار المسلمين، وحسن تعاملهم وصدقهم وأمانتهم ودعوتهم للناس للتوحيد والسنة.

ونحن اليوم نعيش في عصر تُعتبر فيه التجارة عصب الحياة، وقد تطورت فيه الأعمال التجارية بشكل رهيب، خاصة لما مزجت مع التقنية الحديثة ووسائل الاتصالات الحديثة، وتوسعت الأعمال

التجارية والخدمية فيه بشكل غير مسبوق فأصبحت هناك التجارة والعملة الإلكترونية (بيتكوين) وهناك الاقتصاد التشاركي على غرار شركة أوبر لتأجير السيارات، وغيرها.

وامتزجت التجارة بكثير من الميادين التي لم تكن تِجارية في السابق، كالتعليم والطب والسياحة، وحتى الثقافة والفن والدين والإعلام، حيث أصبحت التجارة هي الطاغية عليها وتفرض منطقها عليها.

ولم تعد التجارة تلاحق رغبات الناس، بل أصبحت هي من تصنع الرغبة عند الجمهور والزبائن، وهي من تتحكم في أذواقهم واختياراتهم وتفرض عليهم نمط حياتهم وسلوكهم.

واليوم أصبحت التجارة سبباً في نشر كثير من المنكرات والفساد بسبب عدم التقيد بالأحكام الشرعية والحرص على الكسب الحلال والطيب، كتقديم الرشاوي للحصول على العطاءات بغير حق أو لتمرير نواقص التنفيذ مما تسبب بخراب البنية التحتية في بلادنا، كما أن تقديم الرشاوي من بعض التجار ساهم في فساد جهاز الرقابة الحكومي على كثير من القطاعات.

والطمع والشجع وعدم تقوى الله عند جزء من التجار هي ما أغرق السوق ببضائع مغشوشة وغير صالحة، وعدم مراعاة كثير من التجار لأحكام الشريعة الإسلامية يجعلهم يتاجرون في مواد محرمة كالسجائر والشيشة وأمثالها، وفي الملابس الفاضحة والكتب والمجلات الهدامة ومتابعة الموضة الفاسدة والفاحشة والقنوات الفضائية الهابطة، وهذا كله من الفساد المنافي للإصلاح.

ومساهمة التجار في الإصلاح تتمثل في تقوى الله عز وجل والتزام شرعه بالحرص على الصدق والأمانة والإتقان وعدم الغش ومحاربة الفساد والرشوة والبعد عن الكسب الحرام.

وقيام التجار بالتأسيس لصناعات محلية متقنة هو من الإصلاح المطلوب، والذي يلزم الناس دعمه وتشجيعه لما فيه من منفعة وطنية عامة للجميع، وحرص التجار على نشر الفضيلة والحلال من خلال مراعاة أحكام الشريعة في بضائعهم كالملابس مثلا، حيث يبتعدون عن الملابس العارية وذات الصور الماجنة، ويوفرون الملابس الجميلة واللائقة الساترة والسابغة دون أن تشف

أو تجسّد كما هو حاصل مع الأسف في غالب قطاع لباس المحجبات حتى!

سادساً: الناشطون السياسيون

يشكل العمل السياسي في مظاهره المختلفة عبر الأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني والنقابات دعامة مهمة لعملية الإصلاح خاصة إذا كان يقوم بدوره الحقيقي وبالشكل الملائم، والتجارب العالمية الناجحة تبين ذلك بوضوح.

فحين تكون الأحزاب قائمة على برامج ومشاريع واضحة وتقدم حلول ومقترحات للتحديات والأزمات، يكون هناك حياة حزبية حقيقية، ويكون هناك تنافس صحي لخدمة المجتمع وإصلاحه، ففي فرنسا حين قام الرئيس مايكرون بتقديم رؤية لمعالجة أزمة فرنسا ووجدت هذه الرؤية تجاوبا مجتمعياً قام بتأسيس حزبه في سنة 2016 وخاض الانتخابات وفاز بمنصب الرئاسة في سنة 2017.

لذلك حين تبقى الأحزاب في عالمنا العربي أقرب للشللية وتفتقد الرؤية والمشروع والحلول لإخفاق السلطات الحاكمة فإن النتيجة هي حياة سياسية بائسة وانتخابات مزورة وتجذر للفساد وتراجع

وترهل في الخدمات العامة إذا بقيت السلطة الحاكمة في سدة الحكم، وإذا وصلت المعارضة للحكم فسيكون التغيير في الشخوص فقط لعدم وجود رؤية بديلة وحلول مدروسة مما قد يفاقم الأحوال سوءاً، وهذا هو الفارق بين تجربة حزب الحرية والعدالة المصري وحزب العدالة والتنمية التركي الذي تميز بتحضير دروسه جيداً من خلال تجهيز حلول علمية وموضوعية للمشاكل والأزمات قبل استلام السلطة وهو نهج سار عليه أردوغان منذ ترشح لبلدية اسطنبول في سنة 1994 كما يوثق ذلك كتاب "قصة زعيم"، بينما تم الاكتفاء

بإطلاق شعارات مشروع النهضة في الحملة الرئاسية المصرية سنة 2012 ولما فاز د مرسي وأصبح رئيساً تبخرت هذه الشعارات وتبين أنه لا يوجد رؤية ولا مشروع نهضة ولا حلول مما عقد الأمور! ونفس الحال ينطبق على النقابات ومؤسسات المجتمع المدني فإن بقيت دكاكين تخدم مصالح فئوية وتقوم بأدوار شكلية بدلا من أن تسعى للإبداع في خدمة أعضائها ومجتمعها بالتركيز على مربع الحلول والاقتراحات والبرامج لمشاكل المديونية والبطالة والإسكان والإقتصاد فإن حالة الفساد والترهل تستشري وتصبح

هذه المؤسسات بذاتها من منظومة الفساد والتخلف والتبعية.والسبيل الوحيد لتكون هذه المؤسسات واعضائها في مسار الإصلاح الانشغال بتقديم الحلول الصحيحة الإبداعية والممكنة التطبيق للمشاكل القائمة ضمن إطار القدرات المالية المتوفرة وتخطى العقبات القائمة، على طريقة تفكيك الملفات وليس جمعها معا بما يجعل من حلها مستحيلاً.

ومن أمثلة الحلول الإبداعية ما رواه السفير المصري في تركيا عن تحايل حزب العدالة بقيادة الرئيس عبد الله جول للسماح للمحجبات بدخول القصر الرئاسي فقال: "كسب جول معركة دخول المحجبات القصر الجمهوري حين دعا زوجات الشهداء من الجنود للإفطار بالقصر في شهر رمضان تكريما لهن. وكان معظمهن زوجات لجنود من القرى والأحياء الشعبية ويلتزمن بارتداء الحجاب، وهو الأمر الذي لم يستطع قادة الجيش الاعتراض عليه، فدخلت المحجبات زوجات الشهداء القصر الجمهوري وسقطت إحدى قلاع العلمانية الأتاتوركية".

سابعاً: الشباب

في ختام هذه السلسلة أخاطب الشباب، الذين هم أمل الغد وعلى أكتافهم قامت أمجاد الإسلام، ولا نزال نشاهده لليوم مشاركتهم في أعمال الخير والبر والتكافل والإقبال على العلم والتعلّم والعمل والبناء، وهم الذين نصروا الجهاد حين تعرضت البلاد لعدوان المحتلين الغزاة أو ظلم الظالمين، فدافعوا عن الدين والروح والعرض والمال.

من أجل ذلك يتكالب الأعداء من كل حدب وصوب لحرف الشباب المسلم –من كلا الجنسين– عن صلتهم بالله عز وجل ودينه وصلتهم بأمّتهم ولغتهم عبر بث طوفان الشهوات بكل الوسائل والأساليب، أو عبر الغزو الفكري وبث الشبهات من مختلف الجهات والأفكار والفلسفات، أو عبر القمع والسجن والتعذيب والاضطهاد والقتل، سواء من العدو الخارجي أو العدو الداخلي، وكيلاً كان أو تنظيماً مليشياويا كالحوثيين وداعش، فالجميع يتفقون

على غاية واحدة وهي تحطيم صمود الشباب المسلم في وجه العدوان.

ولذلك؛ فعلى الشباب والشابات من أمة الإسلام اليوم الوعي الصحيح بأنهم في دائرة الاستهداف، وأنهم في حالة حرب معلنة عليهم سواء كانت حرباً ناعمة أو خشنة، وأن نجاتهم وخلاصهم من هذا العدوان هو فقط باللجوء إلى الله عز وجل، واعتماد العلم بشرعه والعلم بدنياهم كوسيلة للثبات والمدافعة والانتصار في المعركة.

فكيف ينتصر جيل الشباب إذا كان لا يدرك أنه في داخل معركة رهيبة تُشن على الأفكار والعقول والقلوب والعواطف، وتسخر لها إمبراطوريات الإعلام ومليارات الدولارات؟

وكيف يصبر جيل الشباب على آلام ماكنة القمع السياسي والتضييق الاقتصادي والنبذ الاجتماعي إذا لم يستوعب أبعاد المعركة الدائرة عليه؟

وكيف يصمد جيل الشباب بوجه البراميل المتفجرة والقذائف الموجهة وتهديم المنازل على رأسه ورؤوس أهله من قبل الغزاة

والطغاة إذا لم يفهم حقيقة الصراع العالمي على ثروات أمته وضمان سلامة اليهود أعداء الأمة؟

وبعد ذلك كله إذا لم يكن العلم الصحيح بشريعة الله عز وجل سلاح جيل الشباب لعبور الفتن والمحن فإنه على خطر عظيم، إذ قد ينحرف فيتبع إحدى فرق الضلال فيخدم سياسات الأعداء باسم الله! أو يعجز عن الصمود فيرتد على أعقابه كحال كثير ممن فضحته منابر الفضائيات.

كما أن اكتساب العلم السليم بإدارة الأمور وسياسة الواقع هو درع جيل الشباب لتجنب كوارث التجارب الماضية التي اكتفت بالعواطف والحماسات عن المطالعة الجادة للأكفياء وتتبّع خبرات الناجحين لتكوين ملكة إدارية وسياسية تقود العمل الدعوي والسياسي والإعلامي لتحقيق نتائج إيجابية مستمرة ومتراكمة تسهم في بناء قوة أمتنا ومجتمعاتنا لنصل إلى سدة المجد.

باختصار: العلم بشموليته هو سلاحكم يا جيل الشباب والقراءة الجادة للأكفياء هي بداية الطريق، "اقرأ باسم ربك الذي خلق" بداية الوحي، والنتيجة: "اقرأ وارتقِ" في الجنة والدنيا.